مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (4)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (4) 2018

التفكيك والإرهاب عند جاك دريدا
بحث في أحداث الحادي عشر من أيلول

الدكتور منذر شباني *

(تاريخ الإيداع 13 / 6 / 2018. قبل للنشر في 4 / 7 / 2018)

□ ملخّص □

تناول البحث الذي بين أيدينا موقف التفكيك بشكل عام من الإرهاب، وموقف جاك دريدا مؤسس التفكيكية بشكل خاص. وقد تطرق البحث إلى مفهوم التفكيكية والأسس التي تنطلق منها في تناولها للمفاهيم والظواهر والأحداث. ومنه انتقل البحث ليناقش الإرهاب كمفهوم قابل للتفكيك من حيث العناصر الأساسية التي وقفت وراء ظاهرة الإرهاب، ولكي لا يبقى الحديث عائماً، فقد تناول البحث الإرهاب في حدث الحادي عشر من أيلول كمثال حاسم لموقف التفكيك من الإرهاب في مجالاته اللغوية الدلالية والدينية التحريضية والسياسية المؤسساتية المطالبة بالإصلاح على المستوى الدولي. أما جاك دريدا فيظهر في هذا البحث بوصفه أكثر من تفكيكي يفكك الظاهرة الإرهابية والخطاب الإرهابي لنجده يتخذ موقفاً حيال الإرهاب وخصوصاً إرهاب الحادي عشر من أيلول.

الكلمات المفتاحية: التفكيك ـ الإرهاب ـ الدين ـ السياسة ـ الإسلام

* – أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (4)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (4) 2018

Deconstruction and Terrorism in Jacques Derrida A study of the events of 11th of Septembre

Dr. Monzer Shbani*

(Received 13 / 6 / 2018. Accepted 4 / 7 / 2018)

□ ABSTRACT □

This research tackled the attitude of deconstruction in general and Jacques Derrid's. the Founder of deconstruction, and the basics out of which they came up with their concepts, phenomena and events. Then, it proceeds to discuss terrorism as a deconstructable concept taking in to account the essential factors lagging behind terrorism as a phenomenon to avoid shallowness, The research managed to tackle in particularly in regards to 11th of September as one sample of a deconstructive attitude towards terrorism in it's linguistic, religious and political fields, all of them seeking an international reform Jacques derrida, on the other hand, is presented here in the study. As more than a mere founder of deconstruction who deconstructs this phenomenon and terrorist speech. Rather we come to perceive Derrida with an attitude particularly towards that of the 11 the of September

Key Words: Deconstruction, Terrorism, Religion, Politics and Islam.

***Associate Professor, Department Of Philosophy In The Faculty Of Arts And Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria .**

ـ مقدمة:

يبدو البحث في مفهوم الإرهاب وموقف الفلسفة بشكل عام من الإرهاب، بحثاً يثير الكثير من التساؤلات، فالفلسفة معنية بكل ما يدور في العالم، وإذا كان الإرهاب قد شكّل موضوعاً للدراسات السياسية، والنفسية والاجتماعية، خصوصاً في العقدين الأخيرين، فإن تناول الفلسفة لمفهوم الإرهاب يغدو ملحاً أكثر، وفي بحثنا هذا تناولنا ظاهرة الإرهاب بشكل سمح لنا التوقف عند المفاهيم التي تشرح ظاهرة الإرهاب ومضامينها الدلالية على الأصعدة كافة، اللغوية والسياسية والدولية. فنحن لم نتناول ظاهرة الإرهاب بشكل عام بل تناولنا موقف التفكيك تحديداً من الإرهاب وخصوصاً موقف جاك دريدا الذي يعد مؤسس التفكيكية، والتي تقدم مقاربات للظواهر والأحداث التي تجري في العالم.

لقد ناقش البحث موضوع الإرهاب من خلال حدث بعينه، وهو حدث الحادي عشر من أيلول، هذا الحدث الذي يعتبر تاريخاً فاصلاً بين ماقبل ومابعد، والذي شكّل هاجساً لدى دول العالم أجمع، ولدى الجماعات والأفراد، خصوصاً وأن هذا الحدث ارتبط بالدين الإسلامي مما جعل الإرهاب مرتبطاً به، وكان لابد من مناقشة علاقة الدين بالإرهاب، وكذلك علاقة السياسة بكل من الدين والإرهاب معاً.

ومن أجل الوقوف على طبيعة المسائل المشار إليها تناول البحث التفكيك من خلال الدلالات التي تعتمدها استراتيجية التفكيك، حيث بيّن البحث كيف يعالج التفكيك المفاهيم والعناصر التي تقف وراء مفهوم الإرهاب، وكذلك السياسة واللاهوت السياسي، والإيمان وغيرها من المفاهيم التي تشرح ظاهرة الإرهاب دلالياً، ثم بعد ذلك ناقش البحث علاقة الدين بالإرهاب أيضاً من خلال استراتيجيات التفكيك حيث ذهب البحث ليناقش الأطراف المعنية بحدث الحادي عشر من أيلول وهما الطرف الإسلامي والطرف المسيحي، وبحث فيما أطلقنا عليه الأرضية المتبادلة بين كلا الديانتين ومشاركة كل منهما في تطور ظاهرة الإرهاب العالمي والتي أدت إلى الحدث الذي نحن بصدده، بعد ذلك تناول البحث الإرهاب والسياسة، ودور المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة، ومنظمة حقوق الإنسان وغيرها، وعلاقة الإرهاب بالسياسات الدولية والسلطة والدولة.

حاولنا في هذا البحث أن نقف على الاستراتيجية التفكيكية وكيفية تناولها لما أتينا عليه وذلك من خلال الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا الذي قدم قراءة تفكيكية لكل المفاهيم المرتبطة بالإرهاب، واللافت أن جاك دريدا ينتهي إلى موقف يطالب بإعادة النظر في السياسات الدولية قبل النظر في بنية النص الديني التي تم اعتبارها المنطلق الأساسي لتفشي الإرهاب في العالم، وجدير بالذكر أن البحث كان قد ركز على موقف جاك دريدا الذي ينظر إلى الإرهاب ليس كظاهرةٍ قادمة من الماضي بقدر ما هي ظاهرةٌ قادمة من المستقبل أيضاً.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

شكّل الإرهاب ظاهرة دولية واتخذ العديد من الأشكال والأنواع، كما حفل العالم بأحداث إرهابية شتى تم تنفيذها تحت مسميات مختلفة، كما تم تسويغ وقوعها هنا وهناك بذرائع وأسباب وأهداف متنوعة، وقد انتشرت الدراسات السياسية والقانونية والاجتماعية لتفسر أسباب انتشار الإرهاب في العالم، والبحث في الخلفيات والدوافع لانتشار الإرهاب عالمياً، وتالياً فإن الإرهاب يمثل مشكلة عالمية لابد من دراساتها ومعرفة أثرها على الجماعات والأفراد والدول، مما يشير إلى أن هذا البحث يتمتع بأهمية راهنة تجعل البحث مسوغاً علمياً واجتماعياً وسياسياً، كما أن تناول موقف التفكيكية من الإرهاب يلقي الضوء على الحيوية التي تتمتع فيها الفلسفة بشكل عام، والنظرية التفكيكية بشكل خاص.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى مناقشة مفهوم الإرهاب مناقشة فلسفية مما يمكنه أن يضرب كومة من العصافير في حجر واحد، أي أن البحث يسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف على صعيد الظاهرة نفسها، أي ظاهرة الإرهاب، كما على صعيد الفلسفة نفسها.

فمن جهة أولى يكشف البحث عن طبيعة الإرهاب بطريقة علمية بعيداً عن الضجيج الإعلامي الذي يرافق ظاهرة الإرهاب، كما ويكشف البحث عن طبيعة التناول الفلسفي للإرهاب، خصوصاً وأن الفيلسوف الذي يدور البحث حول أفكاره هو ابن الحضارة الغربية، والتي لطالما تنصلت من موقفها وعلاقتها بالإرهاب.

على الجهة المقابلة استطاع البحث أن يقدم قراءة تفكيكية للإرهاب، فغاص في المفاهيم والدلالات التي ترتبط بالإرهاب والسياسة والدين والجماعات المتطرفة.

منهجية البحث:

اعتمدنا في هذا البحث منهجاً لغوياً نصياً قادنا إليه طبيعة البحث التفكيكي الذي يقدم استراتيجيات في القراءة معتمداً البحث الدلالي في اللغة والظواهر المعرفية. كما توسمنا المنهج الوصفي الذي يساعد على فهم بنية اللغة وعلاقتها الداخلية والخارجية في تكون المعاني والدلالات.

. النتائج والمناقشة:

أولا: التفكيك والحقل الدلالي للإرهاب:

يتناول جاك دريدا وهو يحلل مفهوم الإرهاب مجموعة العناصر التي تقف وراء المفهوم نفسه، ثم يتابع تجلياتها على الصعيد العملي؛ ولكن قبل البدء في محاولة دريدا هذه لابد من التذكير بمعنى التفكيكية كما طرحت منذ نشوئها ذلك" أن التفكيكية تذكرنا دائماً بالعلاقة الاشتقاقية بين كلمة نقد criticism بلغة القوم، وبين كلمة أزمة التي يقولون لها crisis"[1]. إن هذا المعنى الذي تتخذه التفكيكية يوضح لنا الطريقة والوظيفة اللتين ستعمل التفكيكية على استخدامهما من أجل الخوض في الحقول الدلالية لأية موضوعات ثقافية أو سياسية أو اجتماعية. ومنها هنا مانحن بصدد البحث فيه ونقصد بذلك الإرهاب الذي يمكن مناقشته ضمن سياقات عدة نفسية واجتماعية وسياسية ولاهوتية. وإذا كان البحث حول أحداث الحادي عشر من ايلول، فإننا مدعون للخوض مع دريدا في مفهوم الحدث أولاً باعتبار أن الحادي عشر من أيلول كان قد اعتبر حدثاً عالمياً، وإن ما قبل هذا التاريخ يختلف تماماً عما حدث بعده. ولكن هل يمكن النظر إلى أحداث الحادي عشر من أيلول على أنها منقطعة عما قبلها؛ أي عن الإرهاب الذي ساد العالم خصوصاً بعد نهاية المعسكر الاشتراكي، وتفرد أمريكا والعالم الرأسمالي بالسيطرة على العالم وقيادته بما يتناسب مع أنماط العيش التي فرضت على البشر في كل أنحاء الأرض.

وأما اللجوء إلى التفكيك في قراءة الإرهاب فهو بسبب جملة المشاكل التي يكتنفها مصطلح الإرهاب نفسه، وطالما أننا هنا نتناول موقف مؤسس التفكيكية جاك دريدا، فإننا نلجأ إلى موقفه كتفكيكي أولاً من الإرهاب عندما يقول" إن تفكيك مفهوم الإرهاب هو بالفعل المسلك الوحيد والمسؤول، إذ إن الاستخدام العام لهذه الكلمة يظهرها كما لو أن

[1] **نوريس، كريستسوفر. *التفكيكية النظرية والممارسة*. ت: صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1989ص.14.**

مدلولها واضح بذاته، الأمر الذي يجعلها تخدم قضية الإرهاب على نحو غير مباشر"[1]. هنا يتضح لنا ما كنا قد أشرنا إليه من أن التفكيك والتفكيكية تبحث في توضيح الحقيقة من خلال البحث في جذر المفاهيم والمصطلحات والكلمات، وهي تستخدم استراتيجية تقوم على عنصرين أساسيين: العنصر الأول وهو الجدية والعنصر الثاني هو التأويل وكلاهما يشكلان منبع القراءة التفكيكية العميقة"[2].

وانطلاقاً من هذه الاستراتيجية التي يعتمد عليها التفكيك يغوص جاك دريدا في المفاهيم والعناصر التي تقف وراء مفهوم الإرهاب فهو يناقش الدين والسياسة واللاهوت السياسي وتجربة الإيمان الذي ربط الجماعات والأفراد وعلاقة كل من هذه العناصر بالعلم والتقنية في العصر الحديث، وخصوصاً في عصر العولمة لنجد أن ضبط علاقة هذه العناصر فيما بينها وترابطها وآليات التوظيف اللاهوتية والسياسية والعقائدية تسهم في تفكيك مفهوم الإرهاب. وبالنسبة إلى دريدا لا تعود الحرب المسؤول الوحيد عن إرهاب المدنيين وليست الحرب هي الوحيدة التي تنطوي على عناصر الإرهاب. مما يشير إلى أن دريدا يذهب في تقصي مفهوم الإرهاب وتعرية عناصره ودلالاته والتفريق بين إرهاب الدولة والإرهاب المحلي والإرهاب العالمي"[3]. وأكثر من ذلك فإن دريدا عندما يتناول أحداث الحادي عشر من أيلول، فإنه يتحدث عن الوساطة التقنية الاجتماعية والسياسية بين ما جرى في الحادي عشر من أيلول وأولئك الذين استحدثوا هذا الحدث، إذ يقول بالحرف إننا في الحادي عشر من أيلول كنا" بإزاء شيء استحدث تاريخياً"[4]. وهنا نتلمس مع جاك دريدا مفهوم الإرهاب بوصفه أقرب إلى الصناعة أكثر مما هو مسألة عفوية حتى أن جاك دريدا يضع المجتمع الدولي موضع مساءلة فهل أراد هذا المجتمع أن يستخدم ما يسميه دريدا المناعة الذاتية"[5] حتى وصل إلى تدمير نفسه. ويعرّف دريدا عمليات الحصانة الذاتية بأنها" هي السلوك الغريب للكائنات الحية والذي يتمثل في ذاتها وبشكل شبه انتحاري تنهمك في التدمير الذاتي لمناعتها الطبيعية ويتمثل أيضاً في أنها تحصن نفسها ضد مناعتها الذاتية"[6]، هنا يدخل مفهوم التدمير الذاتي كعنصر أساسي من عناصر الإرهاب، ففي المحاولات التي تجري لأجل الوقاية من الإرهاب تصل هذه الوقاية إلى مرحلة تكون فيها سبباً للإرهاب وليست وقاية له حتى أن دريدا يعبّر عن هذه الحالة بقوله الحصانة الذاتية الانتحارية، وفي ملاحقة مفهوم الحصانة الذاتية وفعلها على الأرض، فإن حدث الحادي عشر من أيلول يشرح كيفية تحول الحصانة الذاتية إلى إرهاب بدلاً من أن تقي من الإرهاب. ففي معرض حديثه عن هذه الحصانة الذاتية يرى دريدا أن الأرض الأمريكية التي حصنت نفسها من الإرهاب قدمت كل ما يساعد على أن يحدث الإرهاب على أراضيها. وبهذا الصدد يستخدم دريدا مفهوم العنف الدائري، فالأرض الأمريكية التي وجدت نفسها معرضة للإرهاب عندما تمكنت المجموعات الإرهابية من " تطبيق المعرفة التكنولوجية المتطورة التي يمكنها من الاستيلاء على سلاح أمريكي في مدينة أمريكية وعلى أرض أمريكية"[7].

---

[1] – **بورادوري، جيوفانا. *الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا*. ط1، ت: خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013،ص.27.**

[2] – **عبد الله، عادل. *التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل*. ط1، دار الحصاد، دمشق، 2000، ص.64.**

[3] – **بورادوري، جيوفانا. *الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا*. (مرجع سبق ذكره)، ص.27.**

[4] – **دريدا، جاك. *مالذي حدث في حدث 11 سبتمبر؟*. ط1، ت: صفاء فتحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص.51.**

[5] – **MITCHELL.J.T.W. Picturing Terror Derrida's Autoimmunity.The University of Chicago,2007,p. 278**

[6] –**المصدر نفسه. ص. 67.**

[7] – **المصدر نفسه. ص. 68**

وفي مكان آخر، وحول موقف دريدا من الدول المارقة، وهو أمر شبيه لما أتينا عليه حول الحصانة الذاتية يتحدث دريدا عن أمريكا التي تحارب الدول المارقة بوصفها" تخترق القانون، وكل السلوكيات الشاذة والانحرافات التي تتهم بارتكابها هذه الدول المارقة أو تلك، وأن الولايات المتحدة هذه التي تزعم إنها راعية للقانون الدولي، والتي تتخذ المبادرة إلى شن حرب أو القيام بوظائف الشرطي أو حفظ السلام لأنها تملك القوة لكي تفعل، هذه الولايات المتحدة والدول التي تتحالف معها في أعمالها هذه، هي نفسها، بما هي ذات سيادة، في طليعة الدول المارقة"[1]. وانطلاقاً من هذا الفهم للدول المارقة نجد أن موضوع الحصانة الذاتية التي تهدف إليه أي دولة أو جماعة لحماية نفسها من الآخر، ومن إرهابه، يجعله متقدماً عليه في الإرهاب وبمثابة الأستاذ والمعلم الذي يعلم الآخر معنى الإرهاب والمروق.

ويجب التنويه هنا إلى أن جاك دريدا لا يتناول الإرهاب في أحداث الحادي عشر من أيلول بوصفه قادماً من الماضي، بل وأيضاً بوصفه قادماً من المستقبل، فهو يكتب عن الصدمة التي أحدثها إرهاب الحادي عشر من أيلول بوصفها صدمة افتراضية، صدمة لم نعتد عليها في الماضي، بل إنها صدمة أخذت تثير في النفس، وفي الشارع ما يمكن أن ينتج عنها في المستقبل مثل حدوث هجوم نووي أو ما شابه"[2]. هكذا لا يعود الإرهاب في الحقل الدلالي واضحاً لا من حيث المفهوم ولا من حيث الزمن، ولا من حيث الأدوات. وأكثر من ذلك، فإن تفكيك دريدا لمفهوم الإرهاب يشير إلى دور ردود الأفعال تجاه الحدث الإرهابي، هذه الردود التي ستشارك أيضاً في صياغة مفهوم الإرهاب وذلك من حيث أسلوب التفكير. فالرعب الذي تركه حدث الحادي عشر من أيلول هو" الرعب أمام المستقبل، وليس فقط من الرعب أمام ما حدث في الماضي"[3].

إن الإرهاب على هذا الأساس لا يفسر ولا يمكن قراءته باعتباره تراكماً تاريخيا فقط، فإذا كانت الأسباب والدوافع تعود إلى الماضي، وإلى الممارسات الماضية والحاضرة تجاه الآخرين. فإن المشكلة الأكبر التي تلعب دورها في جعل الإرهاب قابلاً للتفكيك تكمن في دور المستقبل. يكتب دريدا" الصدمة هي انتاج المستقبل، وهي نتاج ما يتوعدنا به المستقبل مما هو أشد سوءاً وهي ليست مجرد نتاج اعتداء مضى وانتهى" [4].

هكذا يصل دريدا في تفكيكه لمفهوم الإرهاب إلى مرحلة تستوجب توجيه النقد لكل الآليات والفاعليات المحلية والدولية على صعيد الأديان والمؤسسات الدولية لضبط حركة الإرهاب العالمية.

ثانياً: الدين والإرهاب (الأرضية المتبادلة):

يباشر دريدا في تفكيكيه لمفهوم الإرهاب بالبحث في علاقة الدين بالإرهاب نفسه، وهو يذهب إلى مسألةٍ تمتلك جانباً مهماً في اطلاق الإرهاب على نحو عالمي، وإذا كان من الواضح أن جاك دريدا يتحدث عن الجماعات الإسلامية التي شاركت أو اتُهمت بحدث الحادي عشر من أيلول، ويقوم بتفكيك مفهوم الإسلام والإيمان، فإنه في الوقت نفسه لا يتفق مع نظرية اتهام الإسلام والمسلمين بما حدث في تدمير برجي التجارة العالميتين، بل إن دريدا يرى أن الدين لعب دوراً أساسياً من قبل الطرفين. الطرف الاسلامي، والطرف الامريكي المسيحي من جهة أخرى. وحول هذا الأخير، أي الطرف الامريكي المسيحي ينوه دريدا إلى الخطاب الديني الذي يسري في أمريكا فهو يقول:" على الرغم من الفصل

---

[1] – بودريار، جان و دريدا، جاك و ادفوليامي وامبرتو، ايكو. *ذهنية الإرهاب*. ط1، ت: بسام حجار، مركز الثقافي العربي، المغرب، 2003،ص. 77.

[2] – المصدر نفسه، ص. 82.

[3] – دريدا، جاك. *ماذي حدث في حدث 11 سبتمبر؟* (مصدر سبق ذكره).ص .71.

[4] – المصدر نفسه. ص. 72.

المبدئي للدين عن الدولة، فإنها- أي أمريكا - تتمسك بالاستناد جوهرياً إلى الكتاب المقدس (المسيحي قبل كل شيء)، وذلك على مستوى الخطاب الرسمي لسياستها ولقادتها. وتذكرنا عبارات مثل فليبارك الرب أمريكا، والإشارة إلى فاعلي الشر، وإلى محور الشر"[1]. كل هذه الإشارات التي يذكرها دريدا تتيح لنا أن نفهم إن الدين شكّل أرضية متبادلة بين المُتِهم والمتَهم؛ أي بين أمريكا والجماعات الاسلامية، فإذا كانت الجماعات الإسلامية تنتمي إلى دين الإسلام، فإنها قد انطلقت أيضاً من الدين نفسه. والدين في كلا الحالتين الإسلامي والمسيحي" هو ما يشير إلى الرابطة والأواصر، وهو ما يربط الإنسان بالإنسان وهو ما يربط الله الإنسان"[2]. وهكذا نجد أن الدين لا يزال الأرضية التي تتحرك عليها الجماعات الإرهابية، وكذلك الدول التي أطلقنا عليها اسم الدول المارقة، بل وأكثر من ذلك فإن دريدا في كتاب آخر يتحدث عن المحاولة الدائبة لإدانة أي فعل أو احتجاج أو انتقاد للسياسات المتبعة في الدول الديمقراطية، على أن هذا الانتقاد يحاول أن يعود إلى التعصب العقائدي والديني"[3]. بهذا الشكل يكشف التفكيك عن أزمة داخل الدول المدنية التي تعالج ما يناهضها معالجة عقائدية ودينية، بدلاً من أن تكون المعالجة سياسية مدنية. هنا نستطيع توضيح موقف دريدا من الإسلام عموماً، ومن الجماعات الإسلامية. حيث نجد أن الإسلام الذي يقوم على تجربة السلامة، وهي تجربة مقدسة يحاول أن يقدم نفسه، على أنه يدافع عن هذه السلامة، بل إن دريدا يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يناقش الشهادتين اللتين يقوم عليهما الإسلام، بحيث يتوجب هنا على العمل التفكيكي أن يستنطق اللغة التي تجعل من الشهادتين حقلاً دلالياً لابد من البحث فيه. إذ يذهب التفكيك الدريدي إلى أن الشهادة في الإسلام وهنا شهادة المسلم بإسلامه ونبيه، تعود في النهاية إلى عملية استبدال بحيث تغدو الشهادة استعداداً للموت في سبيل الله. وبهذا الشأن يكون معنى أن يستشهد الإنسان بالشهادتين هو "القتيل في سبيل الله لأن ملائكة الرحمة تشهده، ولأن الله تعالى وملائكته شهود له بالجنة أو لأنه ممن يُستشهد يوم القيامة على الأمم الخالية أو لسقوطه على الشاهدة أي الأرض"[4].وإذا كان دريدا يتحدث عن الحقل الدلالي للشهادة في الإسلام فإنه يؤكد أكثر على ضرورة التوسع في عملية تفكيك النص الإسلامي، وهو أمر لا يشغلنا هنا بقدر ما نهتم بما يقره دريدا بضرورة وعي التمايزات داخل الإسلام نفسه. بمعنى ما، فإن دريدا يرفض أن يشمل الإرهاب الإسلام بالكامل، ويدعو إلى رصد التمايزات داخل الإسلام، فهو أي دريدا يقول" إن الإرهاب ليس من مسؤولية العرب كافة، ولا من مسؤولية الإسلام ولا من مسؤولية الشرق الأوسط العربي الإسلامي. وفي الوقت نفسه، تختلف كل من هذه المجاميع فيما بينها. حيث تتنازعها التوترات والصراعات والتناقضات"[5]. بهذا الشكل يقف التفكيك موقفاً واضحاً ضد زج الدين الإسلامي جملة وتفصيلاً في أحداث الحادي عشر من أيلول، ويطالب بتفحص واقع الدين في أمريكا. وأكثر من ذلك، فإن دريدا يرى أن العالم الغربي وعلى رأسه أمريكا هو الذي دّرب المجاميع الإرهابية، وساعدها على الإرهاب، يقول دريدا عندما يتحدث عن الإرهابين المسلمين" يجب ألا ننسى أنهم تعلموا وتدربوا وتسلحوا على الطريقة الغربية وبأشكال مختلفة على يد ذات الغرب الذي اخترع كلمة الإرهاب وآلياته وسياسته وذلك على مدار تاريخه القديم والحديث جدا"[6].

---

[1] – المصدر نفسه. ص. 119.

[2] – المصدر نفسه. ص .18.

[3] – دريدا، جاك و رودينيسكو، اليزابيت. *ماذا عن غد*. ط1، ت: سلمان حرفوش، دار كنعان، دمشق، 2008، ص. 63.

[4] – دريدا، جاك. *مالذي حدث في حدث 11 سبتمبر؟* (مصدر سبق ذكره).ص.20.

[5] – المصدر نفسه. ص.116.

[6] – المصدر نفسه. ص. 116.

ضمن هذا السياق يكشف التفكيك عن عملية معقدة، فيما يخص دور الدين في الإرهاب العالمي، وإذا كنا قد حاولنا أن نتبين مواقف دريدا من الدين المسيحي والإسلامي دون الخوض في قضايا تفكيك النصوص المقدسة. فذلك لأننا في هذا البحث نحاول فقط الوقوف على موقف التفكيك من الحدث الإرهابي؛ أي حدث الحادي عشر من أيلول فقط. حيث وجدنا أن الموقف التفكيكي الذي يقودنا إليه دريدا يضع الدين بكل أشكاله الإسلامية والمسيحية موضع المسؤولية دون تبرئة طرف على حساب آخر، بل وأكثر من ذلك فقد كشف دريدا عن دور الغرب في تأجيج التطرف في العالم وتمهيد الأرضية للقيام بالأعمال الإرهابية في كل أنحاء العالم.

ثالثاً: الإرهاب والسياسة (اصلاح المؤسسات الدولية):

إذا كان الإرهاب هو أحد أهم أشكال العنف في العالم المرتكب بحق الدول والأفراد معاً، فإن البحث في الإرهاب كظاهرة عنيفة ارتبط بالسياسة إلى حد كبير، وارتبط بشكل مباشر بمفهوم السلطة. وانطلاقاً من هذه العلاقة بين الإرهاب والسياسة والسلطة كانت حنة ارندت قد لاحظت" أن كل سياسة إنما هي صراع من أجل السلطة، والعنف إنما هو اقصى درجات السلطة"[1]. وحريٌ بنا أن نشير هنا أن هذه العلاقة بين العنف والسياسة كانت موقع جدال ونقاش بين الكثير من المنظرين اليساريين واليمينين، بل إن ارندت تتفق مع ماركس في رؤيته للدولة على إنها تشكل أداة قمع تمتلكها الطبقة المسيطرة"[2].

وبالنسبة لنا فإننا نعتبر ما ذكرناه حتى الآن مقدمات عامة أمام ما قدمه التفكيك حيال علاقة الإرهاب بالسلطة والدولة. وطالما إننا نتحدث عن أحداث الحادي عشر من أيلول، فإننا نجد هنا أن الإرهاب لا يعود متعلقاً بسلطة ما أو دولة ما. إن الإرهاب هنا في هذه الأحداث، خصوصاً تحول إلى إرهاب عالمي مما يشير إلى مسؤولية عالمية تجاه الإرهاب. وهذه المسؤولية تقع على عاتق الدول الكبرى، كما تقع على عاتق المؤسسات، والمنظمات الدولية، كالأمم المتحدة ومنظمة حقوق الإنسان وغيرها. فهذه المؤسسات مطالبة بإعادة النظر في موقفها من الإرهاب العالمي. وفي سؤال حول ضرورة تعزيز واحترام القانون الدولي، وأهمية هذا القانون في الحد من الإرهاب والسيطرة عليه عالمياً ويجيب دريدا بضرورة اصلاح القانون الدولي، فهو يقول لابد من" رؤية منفتحة على المستقبل وعلى امكانية استكمال إصلاح الديمقراطية، واستكمال اصلاح القانون الدولي والمؤسسات الدولية"[3]. هنا يبدو لنا أن الدول الكبرى التي وصفها دريدا بالدول المارقة قد تجاوزت المؤسسات الدولية، وإن هذا التجاوز وإدارة الظهر لهذه المؤسسات يبدو ثغرة اساسية من ثغرات نفاذ العنف في أمكنة عديدة من العالم. ومرة أخرى يظهر هنا تأكيد جاك دريدا على الطابع المستقبلي للإرهاب كما ذكرنا، فهو في معرض رده خول العلاقة بين دور المنظمات الدولية وضرورة تعزيز واحترام القانون الدولي، وبين منظمة القاعدة كأساس لأحداث الحادي عشر من أيلول، وفيما إذا كان ما تقوم به منظمة القاعدة برعاية دولية يغذي حلماً سياسياً دولياً. يجيب دريدا بما معناه أن مشكلة القاعدة كمنظمة إرهابية، وبن لادن كزعيم لهذه المنظمة تتجلى في أن خطاب بن لادن المتوافق مع التقنية الرأسمالية التي وظفت في إطار الإرهاب لا ينفتح على أي مستقبل، وبشكل صريح يقول دريدا إن الخطاب الرأسمالي وخطاب القاعدة الإسلامي" لا ينفتحان على أي مستقبل. ومن وجهة نظري الخاصة فلا مستقبل لهما على الإطلاق"[4]. مما يشير إلى أن تجاوز المؤسسات الدولية والاستهانة في

---

[1] – ارندت، حنة. *في العنف*. ت: ابراهيم العريس،ط1، دارالساقي، بيروت، 1992، ص.31.

[2] المرجع نفسه. ص. 31.

[3] – دريدا، جاك. *ماالذي حدث في حدث 11 سبتمبر؟* (مصدر سبق ذكره)، ص .113.

[4] المصدر نفسه، ص. 112.

في دورها ما يستدعي ضرورة معاقبة التقصير في هذه المؤسسات. ويلح دريدا في هذا الشأن على دور الفكر التفكيكي فيقول:" الفكر(من النمط التفكيكي، إن جاز لي القول) هو الفكر الذي يجب عليه في نظري أن يضع هذه القواعد والمبادئ موضع المساءلة، وأن يعيد تأسيسها دون أن ينال منها ودون أن يدمرها"[1].

وفي السياق نفسه، يمكن أن نستشهد بمواقف أخرى لدى مفكري ما بعد الحداثة، وهي تدعم ما يذهب إليه جاك دريدا من ذلك مثلاً ما يراه نعوم تشومسكي الذي أجاب بدوره عن سؤال حول عدم قدرة أمريكا على إدارة عملية العولمة، حيث رأى إن برامج العولمة أدت إلى إثارة" معارضة قوية" ضد النظام الدولي الذي تهيمن عليه أمريكا، ومن ضمنها المؤسسات الدولية"[2]. وفي مكان آخر يعود تشومسكي ليؤكد على أن الإرهاب يمثل ظاهرة سياسية ويكرس سلطة الإرهاب الدولي، فهو يقول" إن كثيرين في العالم يعتبرون الولايات المتحدة الامريكية دولة إرهابية، وذلك لأسباب وجيهة. لنتذكر مثلاً أنه في1986 أدينت أمريكا في محكمة العدل الدولية بالاستعمال غير الشرعي للقوة، أي الإرهاب العالمي. ومن ثم استعملت حق الفيتو ضد قرار لمجلس الأمن يدعو الدول بما فيها الولايات المتحدة كي تتمسك بالقانون الدولي"[3]. وإذا كنا هنا نشير إلى موقف عالم اللغة واللسانيات حول السياسة الدولية ومكانة الإرهاب، وهو نعوم تشومسكي فذلك لأن الحدث أي الحادي عشر من أيلول قد حرض باتجاه البحث في العلاقة بين الإرهاب العالمي والسياسات العالمية الدولية، وكذلك المؤسسات التي بدت في لحظة من اللحظات بلا فائدة في ظل الهيمنة الأمريكية على هذه المؤسسات. وفيما يخص نظرية التفكيك عند دريدا فإنها تركز بشكل اساسي على مفهوم حقوق الإنسان وضرورة إنعاش هذا المفهوم. خصوصاً وإن حقوق الإنسان بدأت تتآكل مع تركز الرأسمال الرمزي والمالي في دول معينة. في هذا الشأن يكتب دريدا في كتابه أطياف ماركس" إننا ما زلنا نستطيع أن نستلهم من الفكر الماركسي لكي نندد بالاستقلال القانوني المزعوم ولكي نندد بلا هوادة بالمراقبة أو التفتيش الذي تقوم به السلطات العالمية بوساطة الدول الوطنية القوية، وبوساطة تمركز رأس المال المالي، وتمركز رؤوس مال الدولة ورؤوس الأموال الخاصة. فثمة عالمية جديدة تبحث عن نفسها من خلال أزمات القانون الدولي"[4]. ولا يقف جاك دريدا عند هذا الحد بل إنه في لحظة من لحظات تفكيك العلاقة بين الإرهاب والسياسة، أي السلطة والحكومة العالمية يعود في قراءته التفكيكية لهذه العلاقة إلى كل من كانط وحنة ارندت في إدانة فكرة الحكومة العالمية فهو يكتب، أي دريدا" بالنسبة لي فإنني استند أولاً إلى كانظ وحنة ارندت اللذين يجب مساءلتهما هنا في هذا الصدد. فقد ناشد كل منهما معاً القانون الدولي مع استبعاد أو حتى إدانة فكرة الدولة العالمية أو فكرة الحكومة العالمية."[5]

وفيما يخص الحالة الراهنة للإرهاب فإن دريدا لا يدين فقط الحكومة العالمية، بل إنه يبحث أكثر في الانعكاسات التي أفرزتها العولمة على الصعيد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والقانوني. فهو أي دريدا يفكك خطاب العولمة عندما يرى إن هذه العولمة ذات شقين: يتمثل الشق الأول في الخطاب الذي يرعاه دعاة العولمة أو ما يسميه دريدا الخطاب المتحيز للعولمة الذي يؤكد" على الشفافية التي تتيحها أدوات التكنولوجيا وانفتاح الحدود على السوق والفرض المتكافئة ..الخ"[6]. فهؤلاء لا يرون في العولمة سوى هذه الفائدة على الصعيد التكنولوجي وانفتاح السوق في حين أن

---

[1] – المصدر نفسه، ص. 114.

[2] – تشومسكي، نعوم. *الإرهاب ل حالة 11 سبتمبر 2001*. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003 ، ص.7.

[3] – المرجع نفسه. ص. 16.

[4] – دريدا، جاك. *أطياف ماركس*. 24، ت: منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب، 2006، ص.163.

[5] دريدا، جاك. *مالذي حدث في حدث 11 سبتمبر؟*(مصدر سبق ذكره).ص. 124.

[6] المصدر نفسه. ص.127.

دريدا يذكّر أيضاً بالجانب المظلم للعولمة فهو يقول:" لم يسبق أن حدث قط في تاريخ الإنسانية أن كانت الأرقام المطلقة التي تدل على عدم المساواة وسوء التغذية والكوارث البيئية والأوبئة الميؤوس منها(اذكرك بوباء الإيدز في أفريقيا على سبيل المثال كما اذكرك بملايين الأشخاص الذي تتركهم للموت والذين تقوم من ثم بقتلهم بهذه الجسامة"[1]. على هذا النحو يقف دريدا على الأسباب والدوافع التي طورت الإرهاب وجعلته يصل إلى ما وصل عليه عندما يفكك خطاب العولمة، وفي السياق نفسه يمكن الإتيان على موقف هابرماس من نظام المواطنة العالمي الجديد الذي أدى إلى حقبة ما بعد الحادي عشر من أيلول"[2].

وفي سياق التفكير في حل مشكلة الإرهاب العالمي يقترح جاك دريدا بالإضافة إلى اصلاح المؤسسات العالمية والمنظمات الدولية وإعادة تفكيك خطاب العولمة بما يتناسب مع الظروف التي رافقت أحداث الحادي عشر من أيلول، فيطرح مفهوم التسامح بوصفه الإرث الذي خلّفه الفكر التنويري في القرون السالفة، والذي ناضل ضد عدم التسامح، هنا يقف دريدا عند المفهوم وضرورة مساءلته وضرورة الوفاء لمفهوم التسامح. ومما يلفت الانتباه هنا أن دريدا يرى في التسامح نوعاً من الإحسان، ولكنه يطالب أن يكون هذا الإحسان منطلقاً من الجانب الأقوى في المعادلة العالمية ويعني بذلك الجانب المسيحي. فإذا تمكنت الدول التي تدين للدين المسيحي في نشر التسامح هو الشكل الآخر للسيادة. ولكن بالمعنى الخيّر والطيب يقول دريدا:" التسامح يجيء دائماً من جانب الأقوى حجة، وهو يعد بمثابة دليل إضافي على السيادة ويمثّل الوجه الطيب للسيادة التي تشير إلى الآخر من علو عليائها: سأتغاضى وأتركك تعيش سأحتمل وجودك وسأفسح لك مكاناً في بيتي ولكن لا تنسى إنني في بيتي"[3]. بهذا الشكل يُدخل دريدا مفهوم التسامح إلى السياسة العالمية ويبدو وكأن هذا التسامح يحل محل علاقات الهيمنة والسيطرة القائمة على العنف ويمثل التسامح هنا مفهوم التعايش الذي هو ضروري للحد من ظاهرة الإرهاب العالمي دون أن يعني ذلك أن دريدا يتحدث عن تسامح لا مشروط بل على العكس فإن دريدا يؤكد على استحالة التعايش اللامشروط"[4]. وإذا كان دريدا يدرك أن مفهوم التسامح غير قابل لأن يصبح بنداً من بنود القانون أو السياسة"[5]. فإنه يرى إن العيش المشترك ضرورة تفرضها التطورات العالمية التي وصل إليها الإرهاب الدولي.

الاستنتاجات والتوصيات:

يمكن القول إن البحث يفضي إلى مجموعة من النتائج، منها موقف التفكيك من الإرهاب والاستراتيجيات التي يتبعها التفكيك في دراسته للظواهر بشكل عام، وظاهرة الإرهاب بشكل خاص كما استطاع البحث ان يوضح الحدود الفاصلة بين الدين والسياسة، ومسؤولية كل منهما عن الإرهاب. كذلك فصّل البحث في قضايا الجماعات والأفراد والانتماءات التي تشكّل حافزاً لانتشار الإرهاب وتحوله إلى ظاهرة عالمية.

---

[1] **المصدر نفسه. ص 128**

[2] **– بورادوري، جيوفانا. *الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا.*(مصدر سبق ذكره)،ص.101.**

[3] **دريدا، جاك. *مالذي حدث في حدث 11 سبتمبر؟*(مصدر سبق ذكره). ص.138.**

[4] **المصدر نفسه. ص .141.**

[5] **– المصدر نفسه. ص. 141.**

أما أهم ما انتهى إليه البحث فهو التنبيه إلى أن الإرهاب ليس فقط مسؤولية الجماعات المتطرفة وحدها، بل وأيضاً تتحمل السياسات العالمية ممثلةً بالدول والمنظمات وزر انتشار الإرهاب على النحو الذي رأيناه في أحداث الحادي عشر من أيلول الذي كان مثالاً تناوله بحثنا هذا.

المصادر والمراجع:

1. دريدا، جاك. *مالذي حدث في حدث 11 سبتمبر؟*. ط1، ت: صفاء فتحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، 159 صفحة.
2. دريدا، جاك و رودينيسكو، اليزابيت. *ماذا عن غد*. ط1، ت: سلمان حرفوش، دار كنعان، دمشق، 2008، 351صفحة.
3. دريدا، جاك. *أطياف ماركس*. 24، ت: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2006، 325 صفحة.
4. بودريار، جان و دريدا، جاك و ادفولياميي وامبرتو، ايكو. *ذهنية الإرهاب*.. ط1، ت: بسام حجار، مركز الثقافي العربي، المغرب، 2003، 224 صفحة.
5. ارندت، حنة. *في العنف*. ت: ابراهيم العريس،ط1، دارالساقي، بيروت، 1992، 116صفحة.
6. بورادوري، جيوفانا. *الفلسفة في زمن الإرهاب، حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا*. ط1، ت: خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، 306 صفحة.
7. تشومسكي، نعوم. *الإرهاب ل حالة 11 سبتمبر 2001*. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003 120صفحة.
8. عبد الله، عادل. *التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل*. ط1، دار الحصاد، دمشق، 2000، 176 صفحة.
9. نوريس، كريستسوفر. *التفكيكية النظرية والممارسة*. ت: صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1989، 301 صفحة.
10. MITCHELL.J.T.W. Picturing Terror; Derrida's Autoimmunity.The University of Chicago,2007,p.13.